المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
فى مواجهة التحدى

(حلقة نقاشـــية)

أدارها د. إسماعيل صبرى عبد الله ، وشارك فيها وفق ترتيـــب الحديث : -

د. أحمد صدقى الدجانى

د. أســـامة الخـــولى

د . فـــؤاد أبو حطـب

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUT ARABE DES RECHERCHES ET D'ETUDES
نشر العلم للمجتمعات العربية

د . أحمد صدقي الدجاني :

في البدء سلام الله عليكم وبركاته والتحية كل التحية لهذه الندوة في هذه المناسبة المباركة . في رحاب بيت العرب ولمديرها العام ولأخي الدكتور أحمد يوسف .

في هذه الحلقة النقاشية تطرح امامكم بعض الافكار متطلعين لحوار غني والاغتناء بما لديكم .

خطر علي بالي ان ابدأ بفاتحة ، شريطاً من الذكريات اقترن بهذه المنظمة ، يخصني ولكل منا ذكرياته ، عرفتها مبكراً من خلال نشاطي في معهد البحوث والدراسات العربية في السبعينات ، ومازال معهدنا يضيئ ، لقد مر بظروف صعبة ولكنه صمد وعطاؤه سخي ، ايضاً عرفتها من خلال ندوات متميزة ، واذكر اسماء الاعلام من امثال " د. محمد كامل حسين " و " د. زكي نجيب محمود " و في ندوات اخرى المرحوم " عبد الرحمن الشرقاوي " وغيرهم . واري كم استطاعت هذه المنظمة ان تستقطب من الجهود الخيرة ، ولألفت النظر لنقطة هي : هل حصيلة هذه الندوات محفوظة ؟ وهل من الممكن ان تحدث مراجعة لها لكي نفيد منها ؟. واحب ان اشير ايضاً الى ان المنظمة تقترن عندي بتجربة الحوار العربي - الاوروبي على مدى عقد من السنين ، وكان لها في لجنة الثقافة والشئون الاجتماعية دور خاص تميز عن دور الجانب الاوروبي ، واذكر بالخير عطاء الدكتور صفي الدين ابو العز وآخرون على هذا الصعيد . اتابع واستذكر دوراً للمنظمة العربية في اطار صندوق نشر الثقافة العربية الاسلامية الذي انتشر في الثمانينات .

نحن اذن امام ربع قرن حافل لانجازات المنظمة ، وفي اطار اعمال هذه الندوة سمعنا

كثيراً عن انجازات المنظمة والانتقادات التي وجهت لها وايضاً عن التساؤلات والتحركات . نحن اليوم امام موضوع متعدد وهو المنظمة في مواجهة التحدي ، وسأطرح في هذا المجال افكاراً بسيطة :

ابدأ واقول ان من سنن العمران الحضاري ان التحدي يثير قوى كامنة . هذه القوى تعبر عن نفسها بتصرفات ، وهذه التصرفات تكون اما برد الفعل واما ان تكون من نوع الاستجابة ، والفرق بينهما عنصر واحد هو عنصر الفكر ، ورد الفعل يظهر احياناً في صورة الانكماش هرباً من الحاضر للماضي ، ووضعاً لليد امام العين كي لا تبصر ، ولكنه احياناً يأخذ شكل الانغماس تقليداً اعمى للوافد .

والاستجابة التي نتطلع اليها تقوم على الفعل واساسها التفكر ، فمنذ البداية اتساءل مؤكداً ان دور هذه المنظمة هو دور تفكر .أن تكون بمثابة عقل لعقول هذه الامة ، وان تؤدي دورها في المجالات التي تخصصت فيها وهي التربية والثقافة والعلوم مكاناً للتفكر ، التفكر الذي يصنع الاستجابة ، فهل نطمح ان نؤكد هذا الدور في هذه المرحلة ؟ ونتطلع لأن تولي عناية خاصة وهي تقوم بهذا الدور لجماعات التفكر في أمتنا العربية بحيث تتواصل معها وتنسق بينها ، وتطرح عليها أمر صنع الاستجابة الفاعلة ؟ في مسيرة العمل العربي المشترك حظيت عدة مرات بلجان غايتها التفكر ، وكنت مشرفاً اخيراً مع الدكتورأحمد يوسف والدكتور اسماعيل صبري بجلسة تفكر افادت الكثير ، فهل نتطلع لمنظمتنا ان تعطينا هذا الدور وتؤديه ؟

ندوتنا ابرزت التحديات التي نواجهها ، ومهمتنا في هذه الحلقة النقاشية ان نبرز الاستجابة . اول تحدٍ خاص بوجودها كله – إلى بقاء أم إلى زوال ؟ ما اشد مرارة هذا

السؤال ولكن من أهم شروط الاستجابة مواجهة الواقع ، والواقع أن أمتنا العربية تمر بمرحلة خاصة منذ زلزال الخليج ومنذ بدء عملية التسوية ، منذ ذلك الوقت ووجهت أمتنا بمحاولة فرض نظام غريب عليها من قوي هيمنة دولية تحل محل نظامنا العربي ومنظمتنا هذه هي احدى مؤسسات عملنا المشترك .

النظام الذي خطط له في الخارج وتجرى محاولة فرضه بجعل الدور القيادي للقاعدة الاستعمارية الاستيطانية العنصرية في فلسطين " الصهيونية " ، وهي تريد ان تغير في الهياكل . وهذا ما شرحه بيريز في مؤلفاته ، ويركز على الثقافة والتربية ، وهذا ما يجب ان نضعه في الاعتبار ، ومن هنا يبرز السؤال قوياً : وهو هل يمكن لمنظمتنا ضمن ادائها دورها الفاعل ان تقوم بمتابعة هذه المخططات وتكشف عيوبها و ما اكثرها ، ثم ننتهي بوضع مخطط بديل يناسب منطقتنا العربية .

التحدى الثانى اسميه تحدي المواءمة بين الآمال وحقائق الواقع ، فالواقع ان العمل العربي في ازمة ، وأن الامكانيات اختلفت . ما حال مؤسساتنا في ظل هذا وآمالها كبيرة ؟ الواقع ان الحال يقتضي ان نصنع الاستجابة الفاعلة التي تنطلق من الواقع ، و بتصميم وعزم وباعمال فكر علي أعلي مستوي . لقد اشار د. حامد عمار الي ميزانية المنظمة وكم هي صغيرة ، ولكن اقول فلننطلق مما هو موجود ، ولنطور اسلوبنا ونحدد دورنا ضمن هذا في استجابة فاعلة مستفيدين من مناخ كهذا سوف يتعاظم مؤيداً العمل العربي ، مترابطين بين عمل عربي رسمي وعمل عربي شعبي ، ولنا ان نوجد آلية دقيقة لا تكرر ما هو موجود في هذه المنظمة ووطننا العربي عامة ، بل توظف كل ما هو موجود وتحاول ان تنميه ، ويقتضي هذا من منظمتنا ان تتواصل مع اهل الرأي في مختلف انحاء الوطن العربي ، و ان يكون

لديها حصر لكل المراكز الثقافية ، وان تكون مهمتها هي التحريك والتنسيق والتفعيل وبهذا يمكن ان نستجيب لهذا التحدي الاستجابة الملائمة . هل نحلم في الفترة القادمة بان يتطوع الكثيرون باموالهم وان يتطوعوا بأوقاف للاستفادة منها في مجال التربية والثقافة والعلوم ؟

التحدى الثالث هو التحدي الدولي وكثيراً ما يحلو الحديث عن الاحتكاك بين شمال المتوسط وجنوب المتوسط وتقنية المعلومات ، فكيف نستجيب له ؟

هل نستطيع القول بأن مجموع ما صدر عن هذه المنظمة وضعنا فيه صورة دقيقة لعالمنا المعاصر؟ ، فعالمنا المعاصر عالم حضارات عدة ، وهناك حضارة تقود في الغرب ، ولكن الاصل هو تعدد الحضارات ، وما من حضارة الا لها عطاؤها وسلبياتها ، وفكرة الحضارة الواحدة نسفت من عالمنا ، نقدم لهذا بثقة مدركين المؤسسات الدولية التي تجمع الجميع وفي مجالنا منظمة اليونسكو .

هل نتطلع لتفعيل اكثر للعلاقة بيننا وبين الصعيد الدولي من خلال تكثيف الاتصال ومن خلال مزيد من التفاعل واعطاء الترجمة حقها و ليس من خلال ترجمة من فقط و لكن (من – إلى) ايضاً . واستطاعتنا بقدر انفتاحنا ان نأخذ وبقدر ثقتنا ان نعطي على صعيد الثقافة والتربية والعلوم وان نقدم بضاعتنا التي حازت الاعجاب في عصور مضت ؟ . هذا البعد الدولي يجب الاستجابة له بالحد الادني الممكن بان يكون هناك تنسيق مع اليونسكو ، وتركيز وتنسيق مع كل الاقطار العربية ، وان يكون لدينا وجود في اوروبا ولدينا فيها جاليات كثيرة ووجود في الولايات المتحدة ، لان عالم اليوم تداخل مع بعضه ، والمنظمة تقوم بهذا ضمن حدود طاقتها .

النقطة الأخيرة تتعلق بدائرة بالغة الاهمية وهو **التحدى الرابع** : تحدي المنظمة في

دائرتها الحضارية وهو كيف تتعامل مع هذه الدائرة الحضارية ، فاذا كان عالمنا عالم متعدد الحضارات فاننا نعيش في دائرة حضارية هي دائرة الحضارة التي شاركت فيها شعوب المنطقة العربية نصطلح على تسميتها بالعربية من اجل اللسان العربي ، والاسلامية لأن الشعوب الاسلامية شاركت فيها ، وشارك فيها بالدرجة نفسها أخواننا النـــصاري وملل اخرى . هذه الدائرة تمتد في افريقيا وتمتد في آسيا ، ولها مكانها ، في الفترة الحالية ويفعل التحدي الشرق اوسطي والذي هو موجه للدائرة ككل لانه ليس موجهاً لوطننا العربي فحسب ، هل نعطي مزيداً لهذه الحضارة ، وفي هذا المجال تبرز فكرة التنسيق قوية جداً بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم في ربط صحيح ، والاهم من هذا ان المنظمة العربية تنهض بدورها لنشر اللسان العربي الذي يتطلع الجميع اليه ، بالرغم من الامكانيات المحدودة ، لكن العزم قوى وماضٍ . بالتفكير وبامعان النظر تدخل المنظمة عمرها الجديد مستلهمة دروس الماضي مستشرفة آفاق المستقبل وكلها عزم على الاستجابة الفاعلة للتحديات .

د . اسامة الخولى :

ماذا اقول بعد كل ما قيل من قبل الدكتور الدجاني ؟ فما من فكرة كنت اود ان اقولها الا قالها واضاف عليها ثلاث افكار ، وليس امامي الا ان اضيف حواشي للمتن و المتن أمامنا واضح و صريح . وانا اتحدث من موقع انني الوحيد الذي كنت موظفاً بالمنظمة واكثر احساساً بالصعوبات التي تواجهها وصعوبات اخرى مرت بها ، ومن خلال اليومين الماضيين في الندوة سمعت كثيراً من التوقعات والآمال والطموحات والآراء وبعضها غير واقعي بالمرة ، ولا يمكن باي حال من الاحوال ان تقوم بها المنظمة ، وهذا تحد جديد تواجهه

وهو ان هناك تطلعات كثيرة وآمالاً كبيرة معقودة عليها ، وحقيقة ليس من الانصاف ان تحمل بها ، و لكن هذا هو قدرها ، وهذا هو املنا فيها .

في هذا الوضع السيئ الذي نعيشه ، ولابد ان نعترف به ، يبدو لي ان التحدي الاساسي هو ان نعيد للمنظمة قدراً متزايداً من المصداقية التي فقدتها ، ليس بحكم التفكك العربي، ولكنها فقدتها من الداخل لأن كثيراً مما كانت تقوم به في السنوات الاخيرة كان تكراراً مملاً غير مجد لاعمال سابقة ، واذكر انني دعيت لمراجعة تصورات ما كان يعرف بالخطة متوسطة الاجل ووجدته صورة قريبة مما كتبه محمد عبد الفتاح القصاص في اوائل السبعينات ، وكأننا ندور في نفس الحلقة . ايضاً فقدان المصداقية كان نتيجة لسنوات من الاضمحلال مرت بالمنظمة ويزيدني املاً ان السنتين الاخيرتين شهدتا محاولات لوقف هذا التدهور .

هذه هي في تصوري المشكلة الاساسية التي تواجهها المنظمة الآن ، و هي ان تركز على ان تعيد مصداقيتها من خلال تخطيطها لاعمال تلقي حداً ادنى من الاقتناع بجدواها وفائدتها وارتباطها بواقعنا . ولا اتصور ان نقص الامكانيات سيكون قيداً قاسياً ، فالفكر لا قيد عليه .

وفي ذهني الآن ان كلمة ازمة في اللغة الصينية تكتسب من معنيين هما الخطر والفرصة ، وانا في رأيي الآن أننا امام مزيج من الخطر الداهم والفرصة التي لا تتكرر ، واعتقد انه مع التسليم الكامل بالمخاطر التي نعيشها الآن هناك ايضاً ضرورة لان ننظر للفرص المتاحة لدينا ود. الدجاني اشار لهذا .

وايضاً لعلنا جميعاً سواء أعلنا ذلك أم لم نعلنه نشعر بخطر حقيقي من تحول قضية

العروبة لقضية شرق اوسطية ، ومثلما قيل بالامس تحولنا من كيان ثقافي الي كيان جغرافي يحكمنا موقعنا على خريطة العالم . وهذه مسألة تستحق ان توضع في اولويات المنظمة ، وان تنمي فينا شعورنا بالعروبة ، واننا امة عربية لها مكونات حضارية ثقافية لن تتحول لمجرد مجموعة سكانية على جزء معين من خريطة العالم .

اشار الدكتور الدجاني لقضية انا لست متحمساً لها وهي توطيد علاقتنا باليونسكو ، فهي نفسها في ازمة ، وفقدت كثيراً من مصداقيتها ، وليس لديها شئ من المال والعطاء . وانا عندما كنت في المنظمة كنت ارفض دكتاتوريتها وسلطويتها في التعامل . وانا لا اتصور اننا سنستفيد من اليونسكو كثيراً ولكن دعونا على اتصال بها فيما نفعله ونفكر بشأنه .

القضية الأخرى التي اثيرت واشار اليها د. الدجاني وأنا اسميها حوار الحضارات ، فلابد ان نعطي هذا الموضوع اهتماماً ، وأؤكد ان المفكرين العرب مستعدون للمشاركة في هذا الجهد بدون مقابل أو مال ، ونحن الآن في الوقت الذي يروج فيه لفكرة ان الاسلام سينسف الحضارة في العالم محتاجون لان نصحح هذه المفاهيم الخاطئة وغيرها عن طريق حوار الحضارات مع تصحيح كل الاخطاء التي نرتكبها نحن في بلادنا .

اما قضية العلوم فأنا في حديثي بالامس تطرقت لفكرة ان العمل المشترك لا يكون له مبرر الا اذا كان هناك حد ادنى من القدرة في الاقطار المشاركة فيه ، وايضاً حد ادني من الاقطار المشاركة فيه . ونحن قدراتنا العلمية ضعيفة جداً ، وهذا يضع المنظمة في اطار نشاطها العلمي في مأزق ، فكيف يكون المخرج منه ؟ هل تسكت عن الكلام في العلم ؟ لا ولكن هناك سبيل آخر فلدينا قدرات علمية فردية متميزة تحتاج لمن يرعاها وتحتاج لنظام مؤسسي تأخذ منه وتعطي باكثر كثيراً مما تأخذ ، ولا يجد هؤلاء سبيلاً سوى ان يتجمعوا

في اسر علمية ليست عربية . ووظيفة المنظمة ان تحدث تواصلاً بين ومع هؤلاء الافراد . وهذه القضية معروفة في الاسر العلمية ، فاذا لم تصل لحد ادني من الحجم فانها لا تعيش ، والمنظمة قادرة على ان تفعل هذا وتهيئ سبلاً للتواصل والتفاعل بين القلة من القدرات العلمية وتمكنهم من بناء قواعد علمية في دولهم العربية .

في هذا المجال ليست هذه هي المهمة الوحيدة للمنظمة ، فالمنظمة لها دور في ان توضح لنا هذا العالم المتغير في ظل هندسة الجينات والهندسة الوراثية ، وان تكون جهاز انذار بشكل عملي ، وتبعدنا عن الانبهار بالعلم . نريد اذاً ان نتناول قضايا العلم في مضمونها الاجتماعي اي ما هي الوظيفة الاجتماعية للعلم ، ويبقي بعد هذا أن نسد الثغرات في النشاط العلمي التي لا يهتم بها أحد ، و أظن نموذج قضية اللغة العربية والحاسوب نموذج مهم . واوضح ان أول من اهتم بهذه القضية كان في اسرائيل ، و نحن ننبه الى انه اذا لم يحدث تطويع الآليات الحديثة للغتنا العربية ولحضارتنا العربية ستحول لغتنا لكي تطوع مع الآلة . وهذا الوجه من الاشكالية يخصنا نحن ، و علي المنظمة ان تركز بقدر كبير علي الوظيفة الاجتماعية للعلم وليس التفاصيل الفنية للعلم .

القضية الأخرى هي اشكالية " الشعبي والحكومي " وهذه اشكالية كبيرة وتزداد عمقاً في ظروفنا ، فأي عمل شعبي مثار شبهة بداية بأكثر مما كان . انا لا ادري ان كان ممكناً للمنظمة في هذا الوقت وهذه الظروف السائدة ان تحدث نوعاً من الوصل بين العمل الحكومي والعمل الشعبي من خلال مزيد من التواصل مع الاتحادات بانواعها " علمية ادبية وثقافية " ، وذلك بالطبع في حدود الممكن . لكننا نطمع في قدر من الحركة ، و نظام المنظمة على ما اظن يسمح بإيجاد علاقة تنظيمية بين المنظمة وبين هذه التجمعات .

د . فؤاد ابو حطب :

ابدأ بشكر للمنظمة والمعهد على هذه الدعوة ، وقد يكون وضعي مختلفاً ، فانا متابع للمنظمة من بعيد ، وبذلك تكون شهادتي شهادة المراقب من الخارج . يأتي عيد المنظمة الخامس والعشرون في ظل هذا الظرف الحرج الذي يشعرنا بالاكتئاب ، ونحن لا نريد ان نكتئب ، فكما أشار الدكتور النجاني ان التحدي والظرف الحرج يتطلب نوعاً من المواجهة والايجابية لانه لا يتردي إلا الكائنات الضعيفة ، أما القوية فتسعي للمواجهة والبقاء وتسليح نفسها باساليب المواجهة .

يحضرني الآن ونحن نحاول ان نعرف كيف نواجه التحدي ما نعلمه جميعاً من ان اسلحتنا التقليدية باءت بالفشل . فشل السلاح العسكري في تحقيق الدفاع المشترك ، فشلت اقتصادياتنا في تحقيق سوق عربية مشتركة ، فهل يفشل مشروعنا الثقافي ؟ اذا فشل مشروعنا الثقافي فاعتقد ان هذه ستكون النهاية لذلك ارى ان التشبث بهذه المنظمة والابقاء عليها ودعمها هو سلاحنا الأخير .

واذا كانت المنظمة ذات شعب في نشاطها تتناول الثقافة والعلم والتربية والاعلام والمعلومات والاتصال ، هذه الانشطة الانسانية الراقية ، فإن التشبث بها وبهذا السلاح يفوق كل الاسلحة وقد يكون زورق النجاه وفي تصوري انه كذلك .

بالطبع انا سأتحدث في التربية ، وفي تصوري ان المنظمة كانت على درجة من الشجاعة في انها نقدت نفسها ، حينما حاولت ان تعد للخطة الثالثة ، وحينما راجعت استراتيجية التربية التي وضعتها . هذه الشجاعة تحمد لها لانها تتضمن بذرة بقاء واستمرار ، لان نظام التصحيح الذاتي والتغذية الاسترجاعية يساعد الكائنات علي البقاء ،

فـالكائنات التي تنقـرض هي التي تبـقي علي السـوس في العظام وتبـقي علي الامـراض لتستشري وتقضي عليها . اما المنظمة فإن الوثائق الاخيرة الصادرة عنها تتضمن قدراً من المراجعة والتصحيح . في ضوء هذا الكلام اذكر انه في مواجهة التحدي وتناول اي نشاط تربوي في المستقبل يجب ان نضع في اعتبارنا ان التربية ليست نشاطاً منفصلاً عن باقي انشطة المنظمة ، بل أكاد اقول ان التربية هي المجال الحيوي الذي يمكن للمنظمة ان تحقق من خلاله انشطتها الثقافية والعلمية ، صحيح ان هناك تداخلاً وبرامج اقترحتها المنظمة في الماضي وتقترحها للمستقبل إلا ان المتابع للمنظمة يشعر ان هناك تقسيماً مفتعلاً بين العلم والثقافة والتربية واذا شئت ان ألخص نشاط المنظمة ثلاثي الابعاد فهي تسعى لبناء مواطن عربي من حيث العقل والوجدان والضمير ، وهذه الجوانب اذا قام العلم ببعضها فإن التربية تقوم بجميعها . وعلي ذلك فنحن نطالب المنظمة في المرحلة القادمة ان توصف لنا المواطن الذي نسعى لبنائه ، خاصة ان الاجتهادات تنوعت والاختلافات فيها كثرت ، والنظم الاقليمية او القطرية – في سياق حديثنا القومي – قد اختلفت ، وهذا المواطن الذي نسعي لبنائه لمواجهة تحديات اقليمية ودولية جديدة ومحاولة طمس الهوية العربية من خلال الاوضاع السياسية والاقتصادية الجديدة يحتاج لمشروع تربوي لبنائه تحدده لنا المنظمة ، صحيح ان ابعاده موجودة في الاستراتيجية الموضوعة منذ عام ١٩٧٢ و هذه الابعاد بالطبع فيها المستقر والباقي بحكم ثبات العناصر الاصيلة في حضارتنا ، ولكن هناك ايضاً تغيرات حدثت منذ العقدين الأخيرين ، و كلنا نعلم هذه المتغيرات التي حدثت في العلم والثقافة وفي المجتمع والعالم . والتحدي الذي تواجهه التربية هو كيف تُحدث نوعاً من التوازن الذهبي ، وارجو ونحن نتحدث عن العروبة الا ننسي ان بعض الذين كتبوا عن الهوية في الفكر القومي في الخمسينات والستينيات ركزوا على الجوانب السلبية في هذا الفكر من حيث انكار

الخصائص المحلية للثقافات الخاصة . هذا مع وجود نوع من التناقض ، مثلاً العراق في حربه مع ايران ركز على أنها صراع بين بابل والفارسية في حين أن العراق دولة تنادي بالقومية العربية ، فهذا النوع من التناقض ادي لعدم تعميق الفكر القومي عند الافراد ، ولذلك اري ان مسألة الاختيار من العناصر الحضارية المحلية بما يدعم الفكر العربي امر مهم جداً ، وتبقي في النهاية مسألة العروبة اساسية لانها العامل الموحد للجميع والمنطقة العربية .

بالنسبة للتربية ايضاً اشير لموقف غريب خصوصاً عندما نسمع عن التكنولوجيا وكاننا سنعجز عن مواجهة هذا التقدم التكنولوجي ، وفي الحقيقة ادعو المنظمة لكي تقدم لنا نماذج قابلة للاستخدام الوطني والقومي بدلاً من ان نواجه بالعجز ومقولة ان التكنولوجيا معجزة لن نستطيع التعامل معها إلا باستيراد المنتج النهائي كما انتجه الغرب وهكذا تظل مستهلكين للتكنولوجيا ولن نبدع ابداً .

وهذا يقودني لمسألة اهتممت بها لفترة وهي مسألة العلم الحديث ودخوله في عالمنا العربي ، ويعود الفضل للدكتور « انطوان زحلان » حيث اشار للمفارقة الغريبة حينما قارن بين تجربة محمد على في مصر وتجربة اليابان في القرن التاسع عشر .

تجربة « محمد علي » كانت سعياً للحصول على منتج معرفة نهائي في صورة جاهزة او مستوردة كما انتجه اصحابه ، ولكن اليابان عملت باستراتيجية مختلفة حيث ارسلت بعثات لكي تدرس كيف يحدث النشاط والعمليات ، لذلك اخذت اليابان عمليات ونحن اخترنا منتجات ، ولذلك لم تنجح تجربة التحديث عندنا ونجحت في اليابان ، وربما كان هذا هو الذي جعل اليابان تنجو من الكارثة بعد هزيمتها الساحقة ، بينما لا اعتقد ان هناك دولة

قراءة كتب التراث وتمييز المفيد منها وغير المفيد ، فهناك قضايا كبيرة وكثيرة فلو نظرنا في مجال التربية والثقافة والتعليم نجده مجالاً حيوياً ، وهو الذي يجمعنا حتى الآن ، ولن نتقدم اقتصادياً وسياسياً الا بنشاط علمي واسع يخلق المنطق والعقلانية والرشد للمجتمع وكذلك المنهج العلمي ، فمن يعيش في ظل الخرافة لا يستطيع ان يتعامل مع التكنولوجيا . وفي هذا الاطار اتمنى بمقدار ما تسمح الظروف وارجو ان اضع امام الأخ " محمد الميلي " والمنظمة بعض المهام التي اعتقد انها حيوية ولا تشغل بال أحد :-

اول عمل تقوم به المنظمة هو تكوين مجمع اللغة العربية الاكبر ، فاللغة الواحدة لا يمكن ان يشتغل عليها خمس مجامع لا تملك الامكانات الكافية للبحث العلمي الجاد . وكل من يشتغل بها فوق السبعين " مثل المجمع المصري " . ونحن في حاجة للشيوخ ولكن يجب ان نضع تحت تصرفهم مراكز تعليم الالسنة وافرعها والصوتيات اللغوية والدلالية والنحو والصرف والتأويل واستخدام الكمبيوتر ، وهو يملك قدرات عمل ولكن لا يوجد طلب اجتماعي عليه . نحن في حاجة كبرى لهذا ، لان اللغات كائن حي وتشتتها يمكن ان يتم باسرع صورة ، والذي انقذ اللغة العربية خلال العصور الوسطي هو القرآن الكريم وارتباط اللغة العربية به ، وإلا كان مصيرها كاللغة اللاتينية التي تفرعت الى لغات عديدة ، فكان يمكن ان تكون هناك اللغة الشامية والعراقية والمصرية والمغربية .. الخ ، وما منع هذا في العصر الحديث هو القراءة والكتابة والاذاعة والسينما والاعمال الفنية والاعمال العلمية وتبادل اساتذه الجامعات . كل هذا ساعد على الحفاظ على هذه اللغة ولكن هذه اللغة الآن تتكمش وتغزوها الالفاظ الاجنبية ، ولكي تصان اللغة لابد من تدخل عنصر واع يساعد على تطورها ، ولهذا لابد من وجود المصطلح العربي لكي لا نتحدث في كلامنا بالمصطلحات الانجليزية . فهذه المهمة جليلة ولا اعتقد ان تكلفتها كبيرة ، وصياغة اللغة العربية ومرجعيتها تقتضي

وجود مرجعية عليا فيما يجرى في اللغة ، وبدراسة التراث ، وتطورات اللغة السابقة وايضاً تطور اللغة فهناك مثلاً كلمات معناها تغير : مثلاً الحكم في القرآن الكريم هي الحكمة ، والسلطة هي اولي الأمر ، ومثلاً حتي الآن في المملكة المغربية القاضي يسمي حاكم من الحكمة ، ونحن غيرنا معناها تماماً وحولناها لحكومة وسلطة ، فالكلمة واحدة ولكن المعني يتغير بالاستخدام والاستمرار . والسلف الصالح عربوا كثيراً من الالفاظ الاجنبية ، ومن يقرأ في المعاجم مثل الصحاح واللسان يجسد كثيراً من الكلمات يكتب امامها مولدة ، اي لم تكن معروفة في ايام الجاهلية ثم اخذت مكانها في المفاهيم ، ونحن نريد مهمة من هذا النوع ، واعتقد ان هذا عمل اساسي للحفاظ على لغة واحدة والارتقاء بها وتمكينها من التعامل مع كل مجالات المعرفة البشرية هذا بالاضافة لانها الرباط الأهم الذي يربط كل العرب ، فالكلام " اللغة " وسيط التعبير والتبادلات التجارية والاقتصادية . مثلاً في اوروبا اللغات الرسمية كثيرة وينفقون نفقات لا يتصورها العقل لجعل هذه اللغات تتفاهم مع بعض ، لكننا نحن لغتنا واحدة فلماذا نهملها ولمصلحة من هذا الاهمال ، وهذا يوضح لنا ان وحده اللغة تكون العنصر المقلق في تكوين التجمعات الاقتصادية .

وهناك تدن رهيب في مستوى اللغة : مثلاً اختفاء كثير من الكلمات وهذا افقد اللغة هذه الكلمات مثل (الهمة – الهمام ، الشرف – الشريف ، الامانة – الامين ، النزاهة – النزيه) هناك عدد كبير من الكلمات يعكس اختفاؤها اختفاء هذه القيم من المجتمع .

اذن هناك مهمة اساسية لمجمع اللغة العربية الاكبر بحيث يجمع بين حكمة الشيوخ وجهد الشباب في تكامل ينتظم حيوية اللغة العربية بشكل منسق وليس بصورة عفوية .

الامر الثانى : هو المعجم العربي الموحد للغة العربية ، وهذا من مهام المجمع

مباشرة ، نريد هنا ان نفعل باللغة العربية ما فعله السلف ، فالسلف يتتبع اصل الكلمة العربية وماذا كانت تعني عند العرب وماذا تعني في الاسلام وهكذا . نحن نعتد بمراجع مرّ عليها الف سنة وليست لدينا القدرة لنتبع نفس المنهج في عصرنا الحديث و نحن نريد ان نكون مثلهم ، نريد ان نحقق التعددية الموجودة في مدرسة البصره و مدرسة الكوفة وكانت هذه علامات حيوية على مجتمع متعدد الحيوية ومتعدد الافكار ، وحتي في الشريعة الاسلامية هناك اربع مذاهب معترف بها ، وتوجد مذاهب اخري كثيرة لم يهتم بها احد مثل مذهب الامام الليثي . المجمع بهذا الشكل سيجمع حوله الجهود في التطوير ويأخذ من وقت لآخر كلمة استقرت في اللغة والتعامل ويضيفها الى المعجم . فهو لا يخترع الكلمات .

الامر الثالث : الذي ادعو اليه هو الاسهام في بناء قاعدة علمية للعلم والتكنولوجيا، فالبحث العلمي المعاصر يستخدم معدات واجهزة بالغة التكاليف ، وعصر العالم المنفرد الذي يعمل من وراء شمعة ويضع بعد ذلك نظرية ضخمة في الرياضيات او في مجاله انتهي ، فالآن البحث منتظم من خلال فريق ومكلف ، ومن يدفع التكاليف يوجه اختيارات البحث والحضارة التي لا تنتج معرفة جديدة مآلها الموت ، والتبادل الحضاري آخذ وعطاء ، فاذا كان العطاء من جهة واحدة فاليد العليا خير من اليد السفلي ، و نحن نريد ان نسترد هذا وهو ليس عملاً بسيطاً ، ولا اعتقد ان مصر منفردة بالرغم من كثرة العلميين بها تستطيع ان تعمل قاعدة متينة ، لكن ممكن ان توجد علي مستوي الوطن العربي ، ويمكن ان تجتذب بعض العلميين العرب الذين برزوا في الخارج ، فهذه القاعدة العلمية والتكنولوجية عمل حاسم بالنسبة لمستقبل العرب ، فهل نؤكد المفهوم الغربي العنصري بان الحضارة من صنع الغرب وان اهل الشرق وظيفتهم التأمل والغناء والطرب والفنون وتفكيرهم غير عقلاني ؟! وهذا جوهر مفهوم الغرب ، وهنا اعطى مثالاً على ان وزير

التعليم في فرنسا في ١٩٣٤ أراد اصدار دائرة معارف جديدة ، و عهد بها الى جماعة من المفكرين واخرجوها بالموضوع و ليس بالابجدية وأول موضوع كان الفكر ، فأول صفحة من هذا الموضوع تقول ان هناك نوعين من الفكر هما الفكر غير العلمي وهو الفكر الشرقي والفكر العلمي وهو الفكر الغربي ، فاذن اما ان نستسلم لهذا المفهوم العنصري او ان نعترف باننا جميعاً سواء خلقنا من آدم ، وأن التفوق نسبي يمكن الحصول عليه بالاجتهاد والارادة القوية ، واول الخطوات التي يجب ان يؤخذ بها في تقديري لبناء قاعدة علمية وتكنولوجية هي الاتفاق على انشاء ثلاثة مراكز للتفوق ، وانا اتصور اننا نتعامل مع المتفوقين الذين وصلوا للدكتوراه و يرغبون في تواصل البحث . وعندما اقول ثلاثة مراكز هذا لأن كل مركز منها يتوسط عدة اقطار عربية . وهناك مثل من روسيا هو مدينة العلوم التي يدرس فيها نوابغ برعوا في حل مسابقة معقدة تنشر في الصحف ، ومنهم من بلغ الاستاذية في هذه المرتبة وهو في الخامسة والثلاثين من عمره . فنحن نريد مثل هذه المراكز للتفوق ، لانه يجب ان يتحول البحث العلمي لمهنة يعيش منها العالم . والمقياس الوحيد هو القدرات العلمية والاصرار على البحث والعمل الشاق والفرح بنتائج البحث وعدم اليأس عند فشل البحث وهذه صفات هامة جداً تسمح لنا ان ندخل القاعدة العلمية والتكنولوجية من بابين احدهما باب العلوم نفسها اي العلوم الاساسية والرياضية .

ختاماً اعتقد ان المشروع الذي يحمل املاً وعملاً هو المعد اعداداً جيداً وتحسب له تكاليف لن يعدم مصادر التمويل ، فمثلاً جامعة الازهر كانت تعيش علي الوقف ومفتي مصر في ندوة مغلقة عن التعليم في مستوى ثقافي مرتفع قال ان : " اقتضاء المال في مقابل العلم مكروه اسلامياً " لان العلم موهبة من الله والتعليم زكاة عن هذه الموهبة ، واقول ان الاثرياء العرب يمكن ان يساهموا في هذا و اقول ان النشاط العلمي و الثقافي في

مصر وفي الشام – بالمعني الجغرافي العام – اعتمد على مبادرات اهلية ، مثلاً الجامعة المصرية أنشأها الاهالي وليس الحكومة ، ولم تتبن الحكومة المصرية الجامعة الا سنة ١٩٢٥ ، وايضاً جهود الترجمة والثقافة قد نشأت منذ سنين مضت . هذا منذ زمن ولكن هذا غير موجود الان و اعتقد انه من الممكن لمشروعات محددة ان تسعي دائماً وتتقبل باطمئنان تمويلاً لبحث وليس تمويلاً لمؤسسة ، هنالمتبرع يكون من حقه الاطلاع على الكتب ويمكن بشئ من المرونة نستطيع ان ننجح في هذا الاسلوب .

***